

## كوكيتك الجمهوريّة

وانك عبد الفتاح

ألعاب الدولة بدأت ضد البرادعي. انتصب السيرك بكامل طاقمه، وفتح النظام مخازنه على مصاريحها لتخرج العجائب. جمعية أهلية تقيم دعوى على وزير الداخلية لأنه لم يعتقل البرادعي وقادة المعارضة الذين اجتمعوا في بيته. وبعدها بساعات، أعلنت 7 أحزاب، مجهولة تقريباً، جبهة اسمها «حماية مصر»، وتهدف إلى توقيف «مخطط» البرادعي الذي عدّته «صهيونياً أميركياً لزعة استقرار البلد».

وبالتزامن، كتب صحافي من حراس النظام: «الجيش لن يقف متفرجاً»، في إشارة تحريض أو تهديد لمن يطالب بتغيير قواعد الانتخابات الرئاسية في مصر الموضوع في المادة 76 الشهيرة.

كل هؤلاء يعمون مصر من «التغيير».

السيرك السياسي المنصوب يركّز على أن مبارك يملك «الوطنية» والاستقرار، بينما معارضوه الخارجون عن النصر «خونة» و«انقلابيون».

هنا تستشعر الدولة الخطر وتعدّ التغيير مخططاً صهيونياً أميركياً يقوده البرادعي ليفسد «السلام الوطني» ويفتت عزم الواقفين في مواجهة العدو الإسرائيلي.

هكذا يريد النظام توزيع صكوك الوطنية والعمالة، رغم انتقالاته من قيادة التحالف ضد إسرائيل إلى قيادة تحالف مع إسرائيل ضد تنظيمات، اتفق معها على تصنيفها إرهابية.

الدولة في مصر تريد أن تدير اللعبة كلها. هذا هو استقرارها الوحيد. شمولية لا تريد أن تحتكر السلطة فقط، لكنها تريد أن تكون معارضتها أيضاً.

الدولة أتمت السياسة رغم اختلاف الوضع من عبد الناصر إلى مبارك مروراً بالسادات. عبد الناصر وضع البلد كله في التنظيم الواحد. والسادات أخرج من تحت العباءة ثلاث بذور لأحزاب تحت رعايته. ومبارك بعدما اتسع الطيف السياسي، طبّق نوعاً من التأميم السري (أو من الباطن) لتكون كل المعارضة في الجيب الخلفي للسلطة تستدعيها وقتما تشاء. معارضة منزوعة الأسنان وفاقدة لجهاز مناعتها وقوتها الحيوية. التأميم بوضوح عبد الناصر ودهاء السادات وحيل مبارك، أفسد قابلية المجتمع المصري للتعدد.

لم يعد الذوق المصري يقبل بسهولة التعدد. لا يزال هناك استعداد قوي للتوحيد والصف واليونيفورم السياسي. وهذا جوهر ألعاب النظام ضد التغيير ومداعبته للفكرة القديمة: «الدولة بابا وماما ومختصر البلد كلها».

هكذا تبدو الدولة وطنية حين يأتيها خطر التغيير، وتدافع عن العروبة وتذكّر بأمجادها في «صوت العرب»، حين يظهر شخص من خارج السيرك يتكلم بنبرة لا تنفع معها الأساليب المجربّة.

التغيير لا يعني أن يكون البرادعي رئيساً لمصر. التغيير يعني أن يكون البرادعي أحد الاقتراحات لا الاقتراح الوحيد أو «الرئيس التوافقي». فكرة الرئيس التوافقي قاتلة لمعنى التغيير، لأنها تختصر ببساطة الطيف السياسي كله في لون واحد وشخص واحد، بينما التغيير يعني ببساطة تعدد ألوان ومرشحين وبرامج.

هل يعني ظهور البرادعي أن تلغي المعارضة نفسها؟ هل من الضروري أن يتحمّل البرادعي أجنحة المعارضة ولو لم يوافق عليها؟ هل من الضروري أن يكون البرادعي مع تليخياً للحركة الوطنية أو للسعي من أجل التغيير؟ ماذا سيفعل البرادعي مع حمولة الفشل الضخمة التي لاقتها التجارب السابقة للمعارضة؟ لماذا تثقل الروح الجديدة القادمة من خارج الدائرة بحطام اللاعبين السابقين؟ هل من الضروري أن يكون كل جهد البرادعي هو التوفيق بين تيارات متعارضة وتحقيق التوازن بين مصالح هذه التيارات ليتكرر الفشل وتصل المعارضة إلى الحائط المسدود نفسه؟ هل لا بد من أن يقف البرادعي هو الآخر بعد شهور قليلة على حائط المبكى للمعارضة المصرية يشكو ويعاني من الاضطهاد؟

البرادعي ليس «كفاية» الثانية، ولا جبهة تحالف انتخابي. إنه «حالة جديدة» في السياسة المصرية. كفاية الأولى حققت دورها في كسر حاجز الخوف وتصعيد الاحتجاج إلى حالته القصوى. وانتهت اكلينيكياً بعد أداء الدور ووقعت في الفخ السهل عندما أرادت أن تكون ملخص الحركة السياسية في مصر واستهلكت كل الطاقات المهمة داخلها في محاولة «التوفيق» بين تيارات سياسية محبطة أساساً.

في إحدى السهرات الاجتماعية، سألت الدكتور عبد الجليل مصطفى، وكان يومها منسق كفاية، «لماذا تبذلون جهداً في التوفيق بين الشيوعيين والإخوان وبين الناصريين والتيار الثوري؟»

لماذا لا تقترحون برنامجاً يخض أفكاركم وكل من يجدها على هواه وفي خدمة طريقه السياسي سينضم إليكم، وعلى من يعترض أن يبحث عن طريق آخر؟».

لكنّ حركات المعارضة، من فرط إحساسها بالضعف، تريد أن تتجمع كلها في كيان واحد ووحيد. «الكوكيتل» هو موضة المعارضة، رغم أنه فشل مرات عدة، ووصل إلى أقصى إمكانياته في تجارب أخرى.

في كوكيتل المعارضة صراع على فرض الأجنحة الخفية أو الأهداف غير المعلنة. لأن كل ضعيف يريد أن يعلن قوته من على منصة الآخرين أو على حساب الآخرين. وهي معارضة على طريقة دوري المظالم، تنتظر دائماً غضب النظام لتتاؤه، ومنهم من هو «دولاتي» أكثر من الدولة نفسها، ويرى روحها وطنية رغم أن الجمهورية التي أعلنت في 1952 تتآكل وتورث إلى العائلات. لكنها لا تزال الأمل والهدف الذي يمنع التفكير في جمهورية جديدة من دون كوكيتل.

## أحمد عدنان \*

# السعودية 1990

صدر في الآونة الأخيرة كتاب «السعودية... سيرة دولة ومجتمع» للباحث الجاد د. عبد العزيز الخضر. وقد أحدث الكتاب جدلاً واسعاً ومستحقاً على مستوى النخب السياسية والثقافية في المملكة، نظراً لما تميّز به من رصد دؤوب وعمق تحليلي اتسم بالجرأة والرصانة. هنا إضاءة على مشهد تطرّق إليه الكتاب، وهو يتناول خطاب حرب الخليج وتحرير الكويت

الصحوة (كأحمد محمد جمال وصالح محمد جمال)، وفيها تنوع مناطقي معقول. كان ينقص هذه العريضة شيخ تقليدي قريب من المؤسسة الرسمية.

- كان من مميزات هذه العريضة أنها لم تُنشر على نطاق واسع أو كمنشور على عكس خطاب المطالب الذي انتشر وأصبح مستفزاً للسياسي في حينها. والمفارقة اللافتة أن بدايتها كانت تتضمن آيات وأحاديث أكثر من خطاب المطالب الذي وقع عليه علماء التيار الإسلامي!

وتقديراً للجهد الواضح الذي بذله الخضر في كتابه، أود أن أحيي هذا المجهود وصاحبه برواية قصة العريضة المدنية من باب التصحيح أو التوضيح معتمداً على شهادات محمد سعيد طيب ود. عبد الله مناع وعلي الدميني، وخصوصاً أن الخضر أشار إلى اللقاء التلفزيوني الذي أجرته مع الطيب الذي أجاب حين سألته عن العريضة المدنية بأنه والمناع كانا ممن شاركوا في كتابتها.

في البدء، يجدر التنويه بأن الأب الروحي لهذه العريضة بلا منازع، هو الشيخ أحمد صلاح جمجوم (وزير التجارة الأسبق، وبعده من رجالات الملك فيصل، وعرف بتوجهه الإسلامي، مع التأكيد أنه ليس صحوياً، حيث يرأس الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بمنطقة مكة المكرمة منذ فترة طويلة). والسبب أنه بعد قرار الاستعانة بالقوات الأميركية لتحرير الكويت، اجتمع وزير الداخلية الأمير نايف بن عبد العزيز بتاريخ 18/8/1990 مع مجموعة من الشخصيات العامة ورجال الإعلام في جدة لتوضيح قرار الاستعانة من باب التهذبة الاجتماعية والتواصل مع التيارات المختلفة، وكان مما قاله الأمير: «هناك نقطتان أساسيتان في الأمر... الأولى: هي أن الجرم كبير ويجب أن نرفضه وهو اكتساح صدام حسين وتشريده لشعب الكويت واحتلاله الكامل للكويت، الثانية: أن ندعم موقف دولتنا في أخذ جميع الاستعدادات وأخذ جميع الاحتياطات اللازمة للدفاع عن الوطن والمواطن». وقال الأمير في مقطع آخر استناداً إلى نص وكالة الأنباء السعودية (واس) الذي نشرته جميع الصحف السعودية في اليوم التالي: «وكما مستم فإن صدام عمل أو يعمل الآن إلى أن ينقل الفعل إلى ردة الفعل... يريد أن يغطي على ما فعله في احتلاله لبلد عربي شقيق ولشعب مسلم يغطيه بادعائه أن ما يذكر أن المملكة العربية السعودية أو دول الخليج العربي استعانت بقوات... نعم وهذا أمر لم يكن خافياً وأعلنه خادم الحرمين للأمة... وأنا أستغرب من بعض المواقف سواء كانت حكومية أو من بعض الفئات التي خدعت أو فهمت الأمر على غير حقيقته... وإذا كانت فيه أي ملاحظة أو لوم أو وجهة نظر فيجب أن تؤجل حتى يعود الكويت لأبناء الكويت».

وخلال هذا الاجتماع ألقى الطيب كلمة، وحين سألته عنها أكد لي إنه لم يعد يتذكرها تماماً ولكنها إجمالاً، حسب قوله، كانت تتعلق بالمستوى المتردّي لأداء بعض الأجهزة الحكومية ذات العلاقة المباشرة بالمواطن. ولكنه يتذكر كما يتذكر كل من حضر الاجتماع، والمناع منهم، المداخلة النارية التي ألقاها الشيخ أحمد صلاح جمجوم، ولم تشر لها (واس) بالطبع! وقد بدأت بجملمته الشهيرة: «يا أمير... من أعان ظالماً سلطه الله عليه.. أنتم أعنتم صدام في حربه على إيران فسلطه الله عليكم»، مطالباً صناع القرار بانتهاز الفرصة لمراجعة النفس وإطلاق مسيرة الإصلاح. وكانت هذه المداخلة أشبه بنيزك مشتعل هوى على بحيرة جمدها

يتطرق هذا المقال إلى مشهد سياسي تناوله الباحث عبد العزيز الخضر في كتابه «السعودية... سيرة دولة ومجتمع»، ألا وهو خطاب حرب الخليج أو العريضة المدنية التي رفعتها إلى الملك فهد بن عبد العزيز مجموعة من كبار رجال الدولة ومثقفها ووجهائها، وعلى رأسهم الوزراء السابقون أحمد صلاح جمجوم وعبد الله الدباغ ومحمد عبده يماني استجابة للتحديات التي فرضتها حرب تحرير الكويت على البلاد. خطاب يشيرون فيه إلى أهمية المضي قدماً في ترسيخ التطبيق الشامل للشريعة، من إقامة العدل وتحقيق المساواة وإشاعة الإصلاح. ومن وسائل ذلك: وضع إطار تنظيمي للفتوى، والشروع في تكوين مجلس الشورى، وإحياء المجالس البلدية، ومراجعة أوضاع القضاء، وتنظيم الحرية الإعلامية، والإصلاح الجذري والشامل لقطاعي التعليم وهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،

وتمكين المرأة في الحياة العامة. يقول الخضر في فصل «عقل المعارضة» أن العريضة المدنية التي اشتهرت في كانون الأول/ ديسمبر 1990 باسم العريضة (المدنية) أو (العلمانية) عند التيار الإسلامي، قد حررها د. عبد الله مناع، وساهم معه أيضاً محمد سعيد طيب نقلاً عن لقاء معه في قناة إل. بي. سي. أيار (مايو) 2009.

ويشرح الخضر أن العريضة جاءت في أجواء حرب الخليج وبعده أحداث ساخنة جداً. ويقول إنه أول ما سمع بهذه العريضة في ذلك الوقت، توقع أنها مجرد مطالب سياسية حول الشورى وبعض الإصلاحات، ولم يفهم لماذا كانت سمعتها سيئة عند نخب الصحوة وتيارها في حينها وقلقوا منها، ثم عندما قرأها لاحظ أنها تعرضت لقضايا حساسة عند التيار الإسلامي، حول الإفتاء، وهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومسألة المرأة، وهذا ما فسر الإحساس بالمؤامرة عند التيار الإسلامي ودفعه للبدء في مشروع خطاب المطالب، ثم مذكرة النصيحة، ولخص الخضر ملاحظاته على العريضة المدنية كالتالي:

- إن من صاغها لديه خبرة وحنكة في الكتابة السياسية، فقد جاءت المطالبات في سياق مؤدب وراق من الولاء المحترم، والتقدير للشريعة والأسرة الحاكمة، وكانت جميع المطالب عقلانية وغير مستفزة حتى لأصحاب الرؤية المحافظة، وكانت أكثر دقة من خطاب المطالب الذي قدمه الإسلاميون، والذي تطور إلى مذكرة النصيحة. - بالنسبة للأسماء الثلاثة والأربعين الموقعة على العريضة، فلم تكن كثيرة جداً ولا نتيجة تجميع عشوائي يفقدها رصانتها. كانت الأسماء مختارة بعناية، وهناك عدة أسماء يغلب عليها الاعتدال في منهجها، وفيها أيضاً كتاب وأسماء مستنيرة، ومشهورة عند تيار

الإصلاحات السياسية التي طالبت بها العريضة المدنية كان النظام السعودي قد وعد بتحقيقها أكثر من مرة

الزخار  
تأسست عام 1953  
تصدر مع شركة «أخبار بيروت»  
المدير الفني: اميل منعم  
افتتاح محمد زبيب

رئيس التحرير المؤسس  
جوزف سلحانة  
(2007-2006)  
مستشار مجلس التحرير  
انسى الحاج

الإعلانات Tree Ad 01/61115 03/252224  
التوزيع شركة اللوانك 15-01/666314 03/828381

مدير التحرير خالد صافية  
عربيات دوليات إيلي شلهوب، ثقافة بيار ابي صعب، مجتمع ضحك شمس، رياضة علي صفا، عدك عمر نشابة، افتصاد محمد زبيب  
رئيس مجلس الإدارة والمدير المسؤول إبراهيم اللين  
المكاتب بيروت - فردان - شارع جونان - سنتر كونكورد - الطابق السادس  
تلفاكس: 01759500 01759597  
ص.ب 5963/113  
www.al-akhbar.com